

وضع الأمازيغية في الإعلام المغربي

مصطفى العادل

ماستر الدراسات اللغوية-وجدة

توطئة

تنتابني مشاعر متناقضة كلما حاولت الكتابة عن القضية الأمازيغية، واللغة الأمازيغية بصفة خاصة، إذ أجد نفسي متقلبا بين مجموعة من المعطيات المتناقضة أحيانا، المتفقة أحيانا أخرى، ووسط زخم من المعلومات لا يكاد بعضها يؤكد البعض الآخر، وكم هائل من المعارف لا تستطيع في نهاية المطاف أن تضع تصورا دقيقا لإشكالات اللغة الأمازيغية، سواء من حيث اللغة ذاتها، وسواء من حيث علاقاتها بمختلف المجالات التي تتداخل معها.

من الحقائق التي لا تخطئها العين أن اللغة الأمازيغية، لغة طبيعية كباقي اللغات، تخضع لما تخضع لها، ولها نظاما صوتيا وتركيبيا وصرفيا وداليا، ولها معجم غني كما الشأن بالنسبة لمختلف اللغات البشرية، إلا أنها مع ذلك ما تزال تفتقر لدراسات دقيقة تتعمق في مختلف هذه الجوانب. فاللغة الأمازيغية وإن انتشرت في بلدان كثيرة وتوارثتها أجيال عن أجيال، فإنها ما تزال في الحاجة إلى جهود نظرية تعود إليها وتؤسس عليها مشروعها للمستقبل، وهو ما يقف عقبة أمام كل خطوة تسعى إلى البناء انطلاقا من الأمازيغية - كما هي اليوم - واعتمادا عليها.

ولأن المقام هنا لا يسمح لنا بالتعمق في الجوانب اللسانية للأمازيغية، وإن تعد قضايا السياسات اللغوية والتخطيط من أهم المباحث اللسانية، فإننا سوف نطرح قضية الأمازيغية من خلال الإعلام المغربي، علنا نقف عند وضعها في هذا المجال الحيوي بعد سبع سنوات من الترسيم. ولعل الأسباب التي أشرنا إليها سلفا من أبرز العوامل المتحركة في وضعها، إذ اللغة لا تستطيع أن تصنع لنفسها مكانة ووجودا بمجرد قرار الترسيم، ما دامت لم تصنع تاريخا ومنتجا يضاهي ما تنتجه اللغات العالمية، وبمعنى أكثر وضوحا: أن تثبت نفسها وتعالج مشاكلها الداخلية أولا.

انطلاقا من المعطيات السابقة، وسعيا لبلوغ الغاية التي تهدف إليها الورقة، ارتأيت تقسيم هذه الأخيرة إلى ثلاثة مباحث. حيث خصصت المبحث الأول لإطار موجز عن الجانب القانوني للغة الأمازيغية، خاصة دستور 2011 وما عرفته المرحلة التي قبله من شعارات ودعوات أمازيغية نادت بالاعتراف الرسمي بالأمازيغية.

ثم تطرقت في المبحث الثاني إلى وضع اللغة الأمازيغية في الإعلام المغربي، السمعية منها والبصرية، ممثلا لذلك بنماذج من استعمال اللغة الأمازيغية في القنوات الثانية وتمازيغت إضافة إلى إذاعة تمازيغت كذلك، وهو مبحث وصفي خالص.

ثم ختمت الورقة بطرح مجموعة من القضايا والاشكالات أراها من العوامل التي تعوق عملية ترسيم الأمازيغية، وهي قضايا تمكن القارئ من طرح الحلول. إن لم نقل: إن لسان حالها يعجب بخطوات يمكن العمل بها في إطار البحث في قضية اللغة الأمازيغية والترسيم.

محتويات الورقة

المبحث الأول: الأمازيغية والترسيم

شعارات أمازيغية والدعوة إلى الترسيم.

من الخطأ أن يعتقد المرء أن الدعوة إلى ترسيم الأمازيغية لم تبدأ إلى مع أحداث الربيع الديمقراطي، فيتجاهل بذلك صرخات سجلها التاريخ كما هو الشأن بالنسبة للغناء والفيلماوسيين. فقد دعا إلى ذلك المغني الرئيس أحمد أوطالبالمزوطي، وطلب بحق الأمازيغية والأمازيغ في جهاز التلفاز وطالب به غيره وهم كثير، وقد كانت هذه الدعوات والشعارات منذ المنتصف الأخير من القرن العشرين وتطورت بشكل ملحوظ في بداية هذا القرن ضمن التغيرات السريعة التي عرفتتها المجتمعات عامة والمغرب خاصة.

لقد استطاعت اللغة الأمازيغية أو المازيغية -حسب تعبير الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري- أن تحتفظ بنظامها السامي الحامي، فصمدت أمام التغلغل الأجنبي ومحاولات التهجين أو القضاء عليها¹، وبقيت لقرون من الزمن يرثها جيل عن جيل بشكل شفوي ودون أن تستند على مصادر ومراجع تضبط قواعدها النحوية والصرفية والصوتية والمعجمية، إلى أن وصلت إلى ما هي عليه اليوم، حيث تفرعت على لهجات متعددة تكاد تختلف اختلافا كاملا فيما بينها. وهو ما دفع أبناءها إلى الدفاع عنها والمطالبة بترسيمها. لقد دعا الميثاق الوطني للتربية والتكوين الذي أصدره المجلس الأعلى للتعليم ما بين 1991-2000 إلى تنوع لغوي هوي (أمازيغي خاصة) يحظى بالدعم على مستوى جهوي وفي مستويات التكوين والبحث²، كما أكد على ضرورة إحداث مراكز تعنى بالبحث والتطوير اللغوي والثقافي الأمازيغي وتكوين المكونين وإعداد البرامج والمناهج الدراسية المرتبطة باللغة الأمازيغية وذلك في بعض الجامعات بدءا من الدخول الجامعي 2000-2001³.

والجدير بالذكر أن تدريس اللغة الأمازيغية قد أعلن عنه رسميا في خطاب الملك الراحل الحسن الثاني رحمه الله في 20 غشت 1994، وإلى جانب ذلك تم تأسيس مؤسسة المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية سنة 2001.

¹ عبد القادر الفاسي الفهري، افتتاحية العدد الخامس من نشرة التعريب (اللغة والبيئة) □: 2

² المرجع نفسه: □: 04

³ أنظر الميثاق الوطني للتربية والتكوين، المملكة المغربية، □: 45

وبالموازاة مع التغييرات التي عرفتھا بلدان المنطقة، شهد المغرب قبل سنة 2011 تناميا ملحوظا للخطاب الأمازيغي والصوت الأمازيغي، مطالباً بالاعتراف الرسمي والقانوني باللغة الأمازيغية، فجاء الخطاب الملكي مستجيباً لذلك ومكداً على رسمية اللغة الأمازيغية ووطنيتها، ثم أعطيت لها الصبغة القانونية في الدستور المعدل عقب ذلك.

دستور 2011: الأمازيغية لغة وطنية أيضا.

يعتبر الدستور القانون الأسمى في المملكة وهو حسب الخطاب الملكي: الأساس المتين للنموذج الديمقراطي التنموي المغربي المتميز، بل وتعاقدا تاريخيا جديدا بين العرش والشعب⁴، لذلك فإن اعتبار اللغة الأمازيغية لغة وطنية اسنادا إلى قانون من قبيل الدستور فمن حقها أن تتمتع بكل ما تعنيه الرسمية والوطنية من معنى، وإلا فسوف نضطر إلى استبدال الدستور أو الاعتراف عن الأقل بأنه لا يملك أية صلاحية ولا قوة من حيث القرار.

لقد سبق دستور 2011، خطاب ملكي، كان بمثابة أرضية خصبة لطرح قضية إعادة صياغة الدستور، وتحلى هذا الخطاب في عشرة محاور، أشار الثاني منها إلى قضية دسترة الأمازيغية. نقرا: " دسترة اللغة الأمازيغية كلغة رسمية للمملكة إلى جانب اللغة العربية، فعلى أساس التلاحم بين مكونات الهوية الوطنية الموحدة، الغنية بتعدد روافدها العربية الإسلامية والأمازيغية(...)، فإن مشروع الدستور يكرس اللغة العربية لغة رسمية للمملكة، وينص على تعهد الدولة بحمايتها والنهوض بها.

كما ينص على دسترة اللغة الأمازيغية كلغة رسمية أيضا، ضمن مبادرة رائدة، تعد تنويعا لمسار إعادة الاعتبار للأمازيغية كرسيد يجمع المغاربة، على أن يتم تفعيل ترسيمها ضمن مسار متدرج، بقانون تنظيمي يحدد كيفية إدماجها في التعليم، وفي القطاعات ذات الأولوية في الحياة العامة⁵، ليأتي بعد ذلك الدستور المعدل فينص رسميا على دسترة الأمازيغية وترسيمها إلى جانب اللغة العربية، ففي الفصل الخامس من الدستور المعدل نقرأ كذلك: "تعد الأمازيغية أيضا لغة رسمية للدولة، باعتبارها رصيدا مشتركا لجميع المغاربة دون استثناء.

يحدد قانون تنظيمي مراحل تفعيلها الطابع الرسمي للأمازيغية، وكيفية إدماجها في التعليم، وفي مجالات الحياة العامة ذات الأولوية، وذلك لكي تتمكن من القيام مستقبلاً بوظيفتها بصفتها لغة رسمية⁶.

من خلال الملاحظة الأولية للنصوص القانونية السابقة يمكن أن نقول إن ترسيم الأمازيغية جاء كرد فعل للضغط الشعبي الذي شهدته المغرب في تلك الفترة، وهو ما يظهر من لغة الخطاب عندما قال: تنويعا لمسار إعادة الاعتبار للغة الأمازيغية،

4: □ 2011 □□□□□□□□□□□□□□□□ - □□□□□□□□□□⁴

5: ☐ المرجع نفسه

المملكة المغربية، ٢٠١١

بمعنى آخر أنه افتقر لسياسة لغوية وتخطيط لغوي محكم، وإلا فإن ترسيم أي لغة يحتاج لمعايير دقيقة ولزمن من الوقت، كما يحتاج لهيئات خاصة تدرس القضية اللغوية قبل أن تعطى لها شرعية قانونية، وبالرغم من ذلك فقد اعتبر المغاربة ذلك فتحاً لهذه اللغة، خاصة المتعطين للأمازيغية، كما تجلّى ذلك في شخص عميد المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، حيث اعتبر الإقرار برسمية الأمازيغية "تعبير عن التصالح مع الذات الوطنية في بعدها التاريخي والحضاري، وأنه يضمن للثقافة واللغة الأمازيغيتين حقوقهما كاملة في مجالات التعليم والإعلام والثقافة، كما أنه سيسهم في إدماج المناطق المهمشة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً"⁷، إلا أن الواقع بعيد عما كان يتصوره السيد بوكوس، فالإجابة على سؤال: هل تم إدماج المناطق المهمشة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً بالفعل بعد سنوات من ترسيم الأمازيغية، كافية لمعرفة الشرح الكبير بين القانون كبند وفصل في وثيقة قانونية وبين الواقع الحقيقي.

إن الإعلان عن اللغة الأمازيغية لغة رسمية إلى جانب العربية يحتاج لفترة من التفكير، وقد انتبه الخطاب الملكي لذلك حينما قال: "أن يتم تفعيل ترسيمها ضمن مسار متدرج"، وأكد الدستور هذه الحقيقة فقال: "لكي تتمكن من القيام مستقبلا بأداء وظيفتها" وقد أكد الدكتور فؤاد بوعلي أنه من غير الصواب أن يتم "إدراج الأمازيغية في الدستور المعدل بالرغم من الغموض الذي يلف وضعها في المنظومة التربوية الذي أدى إلى تحجيم وجودها في المدرسة المغربية، إضافة إلى عقبات أخرى مثل الحرف والتعصب الاثنى..."⁸، لتبقى إشكالية القانون وتنزله على أرض الواقع سيد الموقف.

قال الدكتور رشيد بلحبيب واصفا الوضع اللغوي بالمغرب: "يشيء هذا الوضع بمفارقات غريبة، إذ لا علاقة له بالوضع القانوني المنصوص عليه في الدستور والقوانين⁹، ممثلا لذلك باللغة العربية باعتبارها الرسمية قانونيا، بينما تبقى الفرنسية في منزلة هذه الأخيرة لكونها لغة الإدارة والاقتصاد والتعليم العالي وجزء كبير من الإعلام. فالوضع نفسه بالنسبة للأمازيغية إن لم نقل أنه في الأمازيغية أبلغ.

المبحث الثاني: اللغة الأمازيغية والإعلام

اللهجات الأمازيغية في الاعلام المغربي:

تنقسم اللغة الأمازيغية في المغرب إلى ثلاث لهجات، حيث تتواجد لهجة تاريفيت في شمال المغرب، بينما تتواجد تمازيغت بالأطلس، في الوقت الذي تتواجد فيه تشلحيت بمنطقة سوس، وعلى العموم فإنها حسب دراسة للدكتور رشيد بلحبيب، تنقسم مع الدارجة الدرجة الأولى من حيث التداول العام، كما تحتل المرتبة الأولى في المناطق الجبلية المعزولة"¹⁰، وقد اقتضت

7 □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ : الاعتراف الرسمي بالأمازيغية سيكون رافعة أساسية لدمقرطة الدولة والمؤسسات والمجتمع، نشر بوكالة المغرب العربي في 2011/03/10

8

مقاربات في المسألة اللغوية بالمغرب، طوب بريس، الرباط، الطبعة الأولى 2005 □ □ 39:

⁹ رشيد بلحبيب، بحوث منشورة في كتاب اللغة والهوية في الوطن العربي: إشكالات تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العالمي للأبحاث ودراسة السياسات،

258: □ 2013-□□□□□□□□

¹⁰ المرجع نفسه، ص: 256-259

طبيعة اللغة الأمازيغية المستعملة في الإعلام المغربي

1474

أما من حيث كونها لغة هجينة وعجين مختلط بين مجموعة من اللغات وبين الأمازيغية والعربية بالخصوص، فهو أمر لا ينكره ذو عقل سليم، ويمكن لنا أن نقف عند هذا الاشكال من خلال اعتماد نماذج من وسائل الإعلام الأمازيغية سمعية كانت أو بصرية.

من قناة تمازيغت المغربية

من الطبيعي أن نتحدث عن قناة تمازيغت في الدرجة الأولى كلما تحدثنا عن اللغة الأمازيغية والإعلام خاصة البصري منه، ولأنها الممثل الأول لهذه اللغة كان من الضروري أن تكون في المستوى المطلوب، أو أن تحاول عن الأقل أن تكون يوما كذلك.

المتابع لقناة تمازيغت في الوقت الراهن سوف يتوقف عند إشكالات جمة ما تزال القناة تتخبط فيها، ولعل أولها استعمال لهجتين مختلفتين لحد كبير، إذ الأمازيغي نفسه يكون مضطرا لتعلم لهجة وربما لهجات أخرى كي يستطيع متابعة وفهم ما تعرضه القناة.

الأمازيغي في الأطلس وسوس خاصة بالتأكيد لا يمكنه أن يتابع تمازيغت وهي تعتمد لهجة الشمال والريف بالأساس، حيث الريفية عنده بمثابة لغة أخرى لا يفهم منها شيئا، والأمازيغي كذلك في المناطق الريفية لا يستطيع أن يتابع أفلام سوس رغم جمالياتها بسبب بسيط هو أنه لا يفهم لهجتهم.

من هنا كان اعتماد مختلف اللهجات الأمازيغية عقبة وإشكالا عويصا يقف امام نجاح اللغة الأمازيغية في الإعلام المغربي، وهو ما سوف نتطرق إليه في المحور الأخير من هذه الورقة.

أما الإشكال الثاني فيمكن في اعتماد معجم أجنبي لا يستهان به. وهذا المعجم غالبا ما يتم اقتباسه من العربية فتجد الإعلامي يقدم الأخبار في تمازيغت بلغة لا وجود فيها للأمازيغية اللهم إذا استثنينا كلمات قليلة وبعض أدوات الربط. حاولنا الوقوف عند هذه الظاهرة فوجدنا أن المصطلح العربي يستعمل أكثر من الأمازيغي ومن ذلك الآتي:

في حدود:	استمعت في قناة تمازيغت لما يلي:
15 ثانية	(مجموعة/ العمليات/ الاستخدام/ نحاول/ التركيز/ الآليات/ في نهاية المطاف)
25 ثانية	(المبادرة/ قيمة/ تشجيع الشباب/ البحث/ الطاقات/ المستقبل/ نستطيع/ العمل على/ مشاريع/ لا شك/ النجاح/ الدعم/ جلالة الملك)

إلى جانب هذه الألفاظ التي يتم أخذها مباشرة من اللغات الأخرى خاصة العربية، غالبا ما يتم تغيير جزئي في بعضها الآخر فيتم استعماله توها أنه من الأمازيغية، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر: (أنحاول/ أدنسترجع/ داتعاودن/ أندافع/ داياغيتساعد/ أنعاون/ تمديننت/ ...)

من القناة المغربية الثانية (2M)

بالطريقة ذاتها نحاول الوقوف عند طبيعة اللغة الأمازيغية في القناة الثانية، وذلك من خلال فقرة "إنغميسن" ضمن نشرة الأخبار التي تقدمها القناة بالأمازيغية.

في ملف خاص خصصته القناة للهندسة بسوس وبالضبط في منطقة إداوسملال تدخل مُجد جابر: رئيس الجمعية الإحسانية لإداوسملال في غضون ثلاثين ثانية فاستعمل هذا المجموع من المفردات العربية: (الهندسة/جميع أنواع الهندسات/المعنى/الجمعية/ثلاث سنوات/ التراث الثقافي/ المنطقة/ ولكن/ الحفاظ/ الجمالية/ الهندسة) في نفس التقرير تدخل مُجد دلال رئيس اللجنة في غضون سبع عشرة ثانية مستعملا هذه اللائحة: (الهدف/ الرحلة/ الذراري/ المدن المغربية/ الإخوان/ مركز/ جمعية/ أوصر القرابة/ صلة الرحم).

وفي حلقة أخرى خصصتها القناة للوضع الصحي في مدينة ورزازات، استوقفتني مداخلة أحد الصحفيين حيث استعمل في حدود ستة وعشرين ثانية هذا القاموس من الألفاظ: (الصبيطار/ الحسن الأول/ المشاكل/ بزاف/ المعاناة/ المنطق النائية/ أطبيب/ المستشفى/ الجهات المعنية/ إطببين الاختصاصيين/ نصبيطار/ المناطق النائية).

في التقرير ذاته تكلم عبد الله حمايتي: مدير المركز الإستشفائي الإقليمي (الحسن الثاني) بتزنيث فلم يقوى على التخلص من هذه اللغة المهجنة، وهو يعتقد أنه يتكلم الأمازيغية، ذكر خلال ستة وأربعين ثانية فقط ما يلي: (تخصص/ التخصص/ بالنسبة/ صبيطار إقليمي/ عدد كافي/ المشكل/ المشكلة/ أضييب/ إضييبين/ المجهود أكثر/ أربعة أيام/ تكلف القسم/ العناية).

من إذاعة تمازيغت:

إذاعة تمازيغت بدورها لم تنجو من هذا الوضع السائد في اللغة الأمازيغية الإعلامية، إذ يصطدم المستمع منذ الوهلة الأولى بهذا المستوى الرديء، وبهذا الضعف الذي يبين حقيقة افتقار المعجم الأمازيغي، أو بالأحرى محدودية المعجم الدهني لدى الإنسان الأمازيغي.

نمثل لطبيعة هذه اللغة مرة أخرى بفقرات من كلام رجال الإعلام ومن كلام المشاركين في برامج الإذاعة. وقفت عند برنامج إذاعي عن عيد الاستقلال قبل منتصف يوم السبت 2017/11/18، قال مقدم البرنامج وهو يقدم ضيوفه: (أصحافي/ إعلامي/ سابق متقاعد/ الإذاعة/ التيلفيون/ الوقت/ أستاذ متقاعد/ مقاوم)، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الألفاظ قد استعملت في وقت لا يتعدى عشرون ثانية، وجاء في كلمة أحد ضيوفه قوله في حدود عشرون ثانية كذلك: (المغرب/ التطور/ نعم/ لكن المفهوم/ الاستعمار/ المغرب/ شيء/ أقاليم الشمال/ الدولة).

ختم الإعلامي الموفر برناجه الإذاعي مستعملا معجما عربية في حدود عشرين ثانية وهو يتوهم أنه يقدم بالأمازيغية قال: (التوطئة/مدونة الأسرة/ التنمية البشرية/ المشاريع الكبرى/ الانصاف والمصالحة/ التعديلات/ الإعفاءات/ في إطار ضبط المسؤولية/ ربط المحاسبة/ بمعنى العهد/ الملك/ التطورات).

بعدها بقليل يستمع المتابع لإذاعة تمازيغت لأخبار منتصف النهار والرجل الإعلامي الذي كلف بتقديم الاخبار بدوره لم يكن استثنائيا، ففي حدود خمس وعشرين ثانية استعمل: (أخبار/ الحق/ المشروع/ القرار/ الخبراء/ السلاح/ الكيماوي/ العسكر النظام السوري)، وقال كذلك وهو يتحدث عن الرياضة: (المهرم/ الكأس/ العرش/ فريق/ أخبار الرياضة/ البطولة الإفريقية/ المحليين)

على أي لغة نتحدث؟

إلى جانب هذا الخلط الكبير بين الأمازيغية والعربية في الاعلام المغربي، توجد مصطلحات كثيرة يتم اقتباسها من اللغات الأوروبية، الإسبانية والفرنسية خاصة، ويتم اعتمادها بعد تغيير طفيف في وزنها لدرجة تكون أقرب في النطق إلى تمازيغت. الشيء نفسه كذلك في اعتماد العربية، وهو دليل على ضعف التكوين في اللغة الأمازيغية الإعلامية فتجد الرجل الإعلامي يستخدم:

- أضييب يقصد الطبيب، ويقول إضييبين في الجمع.
- أنعاون: من التعاون والمساعدة ومعناها أن نساعد.
- عتامدن: بمعنى اعتمدوا من الاعتماد.
- قررن: بمعنى قرروا.
- داتكتابن: بمعنى يكتبون.
- أناقص: بمعنى أن ننقص.
- أنفكر: بمعنى أن نفكر... الخ.

تجدر الإشارة هنا إلى أن المصطلحات التي يتم اعتمادها بهذه الطريقة بعد أخذها من لغة أخرى من الصعب الإحاطة بها لكثرتها، بل إن أغلب ما يقدم في الإعلام الأمازيغي لا يخرج عن هذه الشاكلة.

اللغة الأمازيغية الإعلامية وإشكالية الترجمة.

إلى جانب ما ذكرناه سابقا يمكن إضافة قضية الترجمة الحرفية التي يعتمد عليها الإعلام الأمازيغي، والتي تنقص من قيمة هذه اللغة، إن لم نقل: إنها تشوهها إلى حد كبير، فكثير من المصطلحات يتم ترجمتها إما حرفيا وإما بمعنى بعيد جدا عن حقيقتها. ويمكن أن نأخذ للتمثيل على هذه القضية نماذج من لغة الإعلام الأمازيغي، وهي بدورها نماذج كثيرة جدا.

- تمت ترجمة كلمة (دقيقة) إلى كلمة (توسدات TAUSDATT) في اللغة الأمازيغية، بينما يبقى معنى كلمة (توسدات) في معظم المناطق الأمازيغية دالا على الرقة. نقول: (تريات توسدات TARBAT TAUSDATT) بمعنى (الفتاة الرقيقة أو النحيلة)، فظن البليد أن الرقيقة كالدقيقة ومنها ترجمها بذلك الشكل الفضيع.

- تمت ترجمة جملة (حارس المرمى) أو تسميته في الأمازيغية الإعلامية بـ (موش نكر إغريان MOCH NGRIGHRYAN) بمعنى "قط بين العوارض" لأن القط في الأمازيغية يضرب به المثل في التركيز والقوة في النقاط الأشياء، إلا أن المعنى يبقى مع ذلك بعيدا عن الصواب والقبول.

هذه أمثلة على ما ذهبنا إليه، وإلا فاللائحة طويلة والمجال لا يسمح لنا بالوقوف عندها كاملة في هذا المقام.

المبحث الثالث: دسترة الأمازيغية وعقبات النجاح

نرى في بداية هذا المحور أن نشير ولو بشكل موجز إلى التمييز بين اللغة الوطنية واللغة الرسمية حتى يتسنى لنا بعد ذلك أن نطرح قضية اللغة الأمازيغية، فنقول: إنها لغة وطنية ورسمية لكنها في الواقع شيء آخر، وذلك لاعتبارات هي التي أطلقنا عليها في هذا المحور: "عقبات النجاح".

يعرف معظم اللغويين اللغة الوطنية باعتبارها "لغة تعترف بها الدولة لغة لمواطنيها، ولكنها ليست بالضرورة اللغة الرسمية للدولة، فاللغة الرسمية هي اللغة الفرنسية في غينيا التي فيها ثنائي لغات وطنية"¹⁵، والأمازيغية لغة وطنية في المغرب وبعد دستور 2011 صارت لغة رسمية -قانونيا- إلى جانب اللغة العربية. لكن التساؤل المطروح بهذا الصدد هو: هل حققت الأمازيغية ما كانت تنشده قبل الترسيم؟ هل استطاعت أن ترتقي بعد سنوات من الترسيم إلى درجة اللغات الرسمية في مختلف البلدان؟

إذا نظرنا إلى واقع اللغات الرسمية في مختلف البلدان، سوف نضطر إلى القول بنوع من الأسف: إن اللغة الأمازيغية فشلت في كل ذلك، وأنها لم ترتقي بعد إلى المستوى الذي منحه إياها المشرع الدستوري، وهو ما يدفعنا كذلك إلى القول بوجود عقبات وعراقيل تقف أمام نجاح اللغة الأمازيغية وتقف حائلا بينها وبين ما كان منتظرا منها قبل وأثناء الترسيم. من الحقائق التي لا يمكن إخفاؤها هو أن المشرع الدستوري قد انتبه إلى هذه العقبات وأدرك أن الأمازيغية لن تصبح لغة رسمية بين ليلة وضحاها. لذلك اعتمد مفاهيم من قبيل: (التدرج/ المستقبل)، وهي إشارات غير مباشرة إلى عقبات رأينا أن نذكر منها الآتي:

- **ضعف وتراجع نسبة المتكلمين بالأمازيغية في المغرب:** إن اللغة الرسمية في أي بلد تحتاج لجاهزية شعبية، وإلا فسوف تجد نفسها ضيفا على ذلك البلد وقد تصطدم بمن لا يرغب أصلا في تعلمها، وبالإضافة إلى هذا، بينت بعض التقارير والأبحاث أن المتكلمين باللغة الأمازيغية في تراجع خطير، قال عبد الهادي أمحرف: "رغم غياب إحصائيات رسمية حول الوضعية اللغوية بالمغرب، فإن هناك مجموعة من المؤشرات تؤكد على التراجع الخطير لعدد الناطقين بالأمازيغية"¹⁶، واللغة الرسمية في الحاجة إلى من يمدّها بالحياة وإلا فإن ترسيمها سوف يبقى شعارا ينتهي بانتهاؤها. والسبب في ذلك اقتصار الأمازيغية على الجانب التواصل بين جماعات لغوية وفي مناطق جغرافية محدودة.

¹⁵ لويس جان كالفي، اللغات والسياسات اللغوية، حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى-بيروت 2008.

¹⁶ عبد الهادي أمحرف، نحو سياسة لغوية لإدماج الأمازيغية في المدرسة المغربية، مستقبل اللغات بالمغرب، ص: 47.

- **علاقة اللغة الأمازيغية بباقي مجالات الحياة:** إن أي لغة تستمد قوتها من القوة الاقتصادية والسياسية والعلمية والتنافس مع القوى العالمية وتستمدتها كذلك من المخزون الفكري والعلمي ومن تاريخ ماضيها، والأمازيغية تعاني من هذه الجوانب، وهي حقائق لا يمكننا إنكارها، فتجد المرء يتساءل قائلاً: ماذا سأستفيد من تعلم اللغة الأمازيغية؟ وهو بالمناسبة تساؤل مشروط، يجعل ربط الأمازيغية بمختلف المجالات من شغل وصحة وتعليم وغيرها، ضرورة لا محالة. وفي هذا السياق قال عدي السباعي: "لا بد من أمازيغية تنتج الكرامة، أمازيغية تنتج الشغل، أمازيغية تنمي المحيط. وكل ما أخشاه هو أن نصل يوماً إلى شعور سلمي حيث يشعر فيه المرء بأنه مهمش اقتصادياً لأنه أمازيغي"¹⁷.

- **إشكالية اللهجات:** من الحقائق التاريخية التي لا تخطئها العين أن تمت عوامل كثيرة أسهمت بشكل من الأشكال في تفرع الأمازيغية إلى لهجات عديدة داخل المغرب لدرجة يسميها الكثير من الباحثين لغات أمازيغية كما هو الشأن بالنسبة للدكتور محمد الأوراني، والإشكال المطروح هنا هو صعوبة التواصل بين أبناء هذه اللهجات، إن لم نقل: إنه يستحيل ذلك في كثير من الأحيان. وقد أكد إبراهيم حسناوي من خلال دراسته¹⁸، أن كل ما تقدمه القناتين الأولى والثانية فيما يخص المسألة الأمازيغية: ليس في متناول الجمهور، ثم إن البرامج اللغوية لا تحدد الجمهور الذي تخاطبه ولا تنجز استطلاعات ميدانية، وأقر بوجود "جمهور ما زال يعترف كذلك بأنه لا يستوعب الكثير من الكلمات والجمل الأمازيغية في القناة مما يؤثر سلباً في إدراكه لصورها، وهناك جمهور آخر يعتبر أن لغته غير حاضرة في القناة بناتاً، كما جاء في رأي متطعين قلائل"¹⁹.

الحق أن هذا يدفعنا في كثير من الأحيان إلى القول: إنه من الصعب أن نتحدث عن الأمازيغية في الإعلام والتعليم انطلاقاً من وضعها الحالي، حيث سوف نجد أنفسنا أمام ضرورة تعليم ثلاث مختلفة في نفس الوقت، ليبقي التحدي الأهم هو الوصول إلى أمازيغية موحدة قابلة لأن تكون إعلامية وتعليمية، وقد بدلت جهود في هذا المجال إلا أن ذلك لا يؤهل أمازيغية اليوم بأن تكتسب رسميتها على أرض الواقع، فإلى اليوم ما يزال الأمازيغي في سوس والأطلس يفضل أن يتابع نشرات الأخبار بالعربية على أمازيغية الريف لعجزه عن فهمها وشعوره بمواجهة لغة أخرى لا يعرف منها شيئاً، وهذه الحقيقة توصل إليها إبراهيم حسناوي فقال: "إن وجود لغة أمازيغية متعددة جعلت المهنيين أساساً يقرون بوجود إشكال لغوي يصعب على قناة تمازيغيتديرة في البداية على الأقل"²⁰.

¹⁷ عضو المكتب السياسي لحزب الحركة الشعبية، أي أفق للأمازيغية بعد أربع سنوات من الترسيم، برنامج مباشرة معكم، القناة الثانية

2016

¹⁸ الأمازيغي في القطب التلفزيوني العمومي، إبراهيم حسناوي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، المعارف الجديدة، 29

2012. 25:□

¹⁹ المرجع نفسه، ص: 122

²⁰ المرجع نفسه، ص: 120

- إشكالية حرف تيفيناغ: يعتبر حرف تيفيناغ من أهم الإشكالات العويصة في قضية اللغة الأمازيغية، فإلى جانب النقاش الدائر حول أصالة هذا الحرف من جهة واستيراده من فرنسا من جهة أخرى²¹، يبقى حرف تيفيناغ حاجزا أمام نجاح اللغة الأمازيغية، وذلك لأسباب منها:

- الجهل الكبير للأمازيغ بهذا الحرف وهو ما يمنعهم من فهم واستيعاب كل ما يكتب به، وهنا لا بد أن نشير إلى ضرورة التعليم الحقيقي للأمازيغية، فالنظر في قضية الأمازيغية والتعليم يوحي بحقيقة مفادها أن الأمازيغية لن تحقق يوما رسميتها على أرض الواقع، كما يبين أن قضية الترسيم تحتاج لمرحلة طويلة تهتم فيها الدولة بتعليم الأمازيغية وإلا فسوف تبقى حبرا على ورق كما هي اليوم.

- قلة المكتوب بحرف تيفيناغ وانعدامه.

- عدم إقبال الناس على هذا الحرف تعلموا وقراءة وكتابة.

- إسرار مثقفي الحركات البربرية على الكتابة به رغم كل هذه المشاكل، في هذا السياق ركز عدي السباعي على ثلاثية أساسية للمضي قدما بالأمازيغية وهي التعميم والإجبارية والتوحيد [لغة موحدة]، وأكد على ضرورة الترفع على نقاش الجهوية والحرب وفتنة اللهجات، ثم أضاف قائلا: وحرف تيفيناغ لا بديل عنه²²، إلا أن هذه الإشكالات سوف تبقى مطروحة إلى أن يجر فيها القول.

في هذه النقطة يقف الغيور على اللغة الأمازيغية والساعي إلى توحيدها أمام عقبة أخرى لا تقل أهمية مما ذكرناه، وهي أن اللغة الأمازيغية تختلف عن باقي اللغات بسبب حفظها من العلم والمخزون الكتابي، عكس اللغات الأخرى التي تستند إلى علومها وتراثها المكتوب، فتبقى الأمازيغية لغة مفترضة لم يبق منها حسب لاووست أي معطى باستثناء بعض النقوش، ويعتقد أن هذه اللغة كان ينطق بها في قرون ما قبل الميلاد، وهي كلمات قليلة يصعب استنتاجها لتكون قاعدة أمازيغية فصيحة وموحدة²³.

خطوات لا بد منها قبل الترسيم

قبل أن يتم ترسيم أي لغة نكون في الحاجة إلى دراسات وأبحاث تتطرق إلى تلك اللغة وتحاول دراستها من كل الجوانب، وتنظر لقضية ترسيمها محاولة طرح أهم الإشكالات التي قد تعترضها وكيف السبيل لتجاوزها وهو ما كانت الأمازيغية في الحاجة إليه قبل الترسيم. إذ تم ترسيمها قانونيا دون النظر في واقعها بالمجتمع، ودون تحديد نوعية ترسيمها، إضافة إلى تجاهلها بعد الترسيم وعدم متابعتها ودعمها بكل ما من شأنه أن يؤهلها لتصبح لغة رسمية.

²¹ تحدث الدكتور محمد الأوراعي على هذه القضية بشكل مفصل في كتابه ()

²² عدي السباعي، برنامج مباشرة معكم، القناة الثانية-2016

²³ عبد الهادي أمحرف، نحو سياسة لإدماج الأمازيغية في المدرسة المغربية: 50:

واللغة الأمازيغية في نظرنا كانت في الحاجة إلى مراحل مهمة قبل الإعلان عن ترسيمها في الدستور المعدل سنة 2011، وهذه المراحل يمكن إجمالها في الآتي:

- **مرحلة التشخيص:** يتم في هذه المرحلة تشخيص الوضع اللغوي بالمغرب من جهة ووضع اللغة الأمازيغية من جهة أخرى، وفي هذه المرحلة يمكن التطرق لكل العقبات التي ذكرناها سابقا من خلال جهات تكلف بإعداد تقارير علمية دقيقة وبعيدة عن الإيديولوجية والحماس الذي لا يؤدي في نهاية المطاف إلى الحقيقة.

- **مرحلة التوحيد فالتعليم فالتعميم:** في هذه المرحلة ينبغي أن يتم العمل على توحيد اللهجات الأمازيغية مع ضرورة مراعاة مجموعة من المعايير وكذا استحضار واقع المتكلم الأمازيغي وسياقات استعماله للغة حتى لا تبقى العملية مختبرية وبعيدة عن الواقع، فاللغات التي يتم التخطيط لها في المختبر لا يمكن أن تؤدي في نهاية المطاف على نتائج علمية، ومن السوء أن يتم الاعتماد على ما تتوصل إليه الدراسات المختبرية البعيدة عن المتكلم في التنظير لمستقبل لغة معينة.

بعد ذلك يأتي تعليم اللغة وهو أمر ضروري، ثم تعميمها لتشمل مختلف القطاعات، ويعطى لها حيز مهم في المقررات الدراسية لتصبح لغة شعبية يعبر بها المجتمع على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، أن يتم استعمالها على سبيل المثال في الإعلام العمومي وفي الإشهار وفي الشارع، ويمكن بالموازاة مع ذلك تأسيس جمعيات ومنظمات ونوادي توكل إليها مهمة تعليم الأمازيغية ونشرها بالمجتمع.

في هذه المرحلة كذلك سوف نكون في الحاجة إلى تعليم الأطر التي من شأنها أن تتحمل مسؤولية التعليم والإعلام والإدارة وغيرها من المؤسسات التي ستعمل على نشر الأمازيغية، ولعل السبب في طبيعة اللغة الأمازيغية التي توقفنا عندها في المحور السابق هو غياب عملية يمكن أن نطلق عليها "صناعة رجال الإعلام"، يكون هذا بشكل مكثف وعلمي هدفه تخريج أطر مؤهلة للعمل في المنابر الإعلامية باعتماد لغة أمازيغية حقيقية، وهذه الخطوة يمكن تطبيقها كذلك في مجال التعليم وغيرها.

- **مرحلة الترسيم:** في هذه المرحلة سوف تبقى عبارة "الترسيم" مجرد معطى قانوني يعطي الشرعية للغة، حيث إن الترسيم في حقيقته معطى واقعي واستعمال للغة التي نود ترسيمها ودستورها في المجتمع وفي مختلف مجالات الحياة.

في هذه المرحلة لا بد من مراعاة قضية العدل بين اللغات، ففي كل مجتمع بشري لغات متعددة ولهجات مختلفة، وهذه أية من آيات الله، لكن المجتمعات المتقدمة تعمل بمنطق العدل بين لغاتها، والمعنى المراد من وراء هذا الكلام هو: أن نعطي لكل لغة وظيفتها في المجتمع، وهنا نكون في الحاجة إلى السياسة اللغوية والتخطيط السياسي وبالتالي نكون في الحاجة إلى كفاءات متخصصة في الميدان يكون غرضها العدل على تحديد الوظائف التي يمكن أن نسندها لكل لغة في المجتمع الواحد، والسياسة هي التي "تتدخل في العلاقات بين اللغات في أوضاع التعدد اللغوي، حيث يجب اختيار لغة وطنية من بين عدد من اللغات الموجودة، أو هئية عدد لغوي في إحدى المناطق، أو اختيار لغات التعليم ووسائل الإعلام (...)"، إذ يمكن أن يؤدي التدخل

في لغة من اللغات إلى ترقيتها واعتمادها لغة وطنية تسعى السياسة اللغوية فيما بعد إلى تنميطها²⁴، والإشكال الأبرز في الوضع اللغوي بالمغرب هو غياب العدل بين اللغات، فالنص الدستوري بدوره بقي غامضا ولم يحدد وظيفة اللغة الأمازيغية إلى جانب العربية.

خلاصات:

- إنطلاقا مما سبق يمكن أن نحمل أهم ما توصلنا إليه في الآتي:
- بدأت الدعوة إلى الاعتراف بالأمازيغية قبل الدستور بسنوات طويلة.
- تمت دسترة اللغة الأمازيغية في الدستور المعدل سنة 2011 دون مراعاة واقعها الحقيقي.
- تم ترسيم الأمازيغية قانونيا دون تحديد وظيفتها إلى جانب العربية مما جعل قضيتها في الدستور غامضة إلى حد كبير.
- تحتاج الأمازيغية قبل ترسيمها إلى تعليمها وربطها بباقي المجالات وجعلها جزءا من حياة المواطن.
- تم اقحام الأمازيغية في مجالات كالإعلام مما جعلها مضطرة إلى اعتماد كل الوسائل للتعبير عن وجودها فاقبست من اللغات الأخرى وترجمت عنها دون مراعاة مدى جدية ذلك.
- اعتمدت لهجاتها المتعددة والمختلفة. والصواب أنها في حاجة لمرحلة تعلم فيها اللغة الأمازيغية الموحدة.
- كانت في الحاجة إلى تعليم وصناعة متخصصين في الميدان يعلمون الأمازيغية ويقدمونها في الإعلام دون تكييفها وتشويهها.
- تمت دراسة الأمازيغية في المختبرات بعيدا عن الإنسان الأمازيغي الذي يهيمه الأمر، من ذلك حروف تيفيناغ التي لا يعرفها غير المثقف والمتخصص في الدراسة الأمازيغية وهم بالمقارنة من القاعدة الشعبية للأمازيغ لا يمثلون سوى نسبة مئوية ضئيلة جدا جدا.

لائحة المصادر والمراجع:

- أحمد بكوس، مسألة اللغة الأمازيغية: الرهانات والاستراتيجيات، - طوب بريس - الرباط 2013،
- رشيد بلحبيب، بحوث منشورة في كتاب اللغة والهوية في الوطن العربي: إشكالات تاريخية وثقافية وسياسية، المركز العالمي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى-2013،
- عبد القادر القاسي الفهري، افتتاحية العدد الخامس من نشرة التعريب (اللغة والبيئة)
- عبد الهادي أمحرف، نحو سياسة لغوية لإدماج الأمازيغية في المدرسة المغربية، مستقبل اللغات بالمغرب.
- فواد بوعلی، مقاربات في المسألة اللغوية بالمغرب، طوب بريس، الرباط، الطبعة الأولى 2005
- لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى-بيروت 2008.
- دستور المملكة المغربية 2011
- الميثاق الوطني للتربية والتكوين- المملكة المغربية 2009/1999

مواقع وبرامج

- أمينة بن الشيخ: إعلامية وناشطة حقوقية، برنامج مباشرة معكم، القناة الثانية (2 M)، 2016
- أحمد بوكوس: الاعتراف الرسمي بالأمازيغية سيكون رافعة أساسية لدمقرطة الدولة والمؤسسات والمجتمع، نشر بوكالة المغرب العربي في 2011/03/10
- عدي السباعي: عضو المكتب السياسي لحزب الحركة الشعبية المغربي، أي أفق للأمازيغية بعد أربع سنوات من الترسيم، برنامج مباشرة معكم، القناة الثانية 2016

²⁴ عبد الهادي أمحرف، نحو سياسة لإدماج الأمازيغية في المدرسة المغربية، □: 223